بين الوطنية والسياسة

دعني فقد تهتُّ عن اشياني ... وادالَ لي من صبوتي سلواني
ما زلتُ اسبرُ غورَها وارودُها ... حتى غشيتُ مكامنَ الكتمانِ
فوقفتُ بين تذلُّلٍ وتدلُّلٍ ... مالي بما يتقاضيان يدانِ
وخرجتُ من رقِّ الشباب وانهُ ... عبءٌ ينوء بحملهِ الثقلانِ
ما في الهوى غير الهوان وهل ترى ... يرضى معزَّتهُ فتى لحطانِ
الفائق الحَفَرات في استحيائهِ ... الخائضُ الغمرات غير جبانِ
لا يبتغي بدلاً بحبِّ بلادهِ ... وكذاك يفعل صادق الايمانِ
يا حبذا حصباؤها وسماؤها ... وبشاشة السكان والعمرانِ
لم يلمح المتنسمون جمالها ... الاَّ وقد خرُّوا الى الاذقانِ
ورأوا بها فصلَ الخطاب فسجَّوا ... شُعَبِ معلنِ ذلك البرهانِ
تربا‌ضها مُخْضلَّةٌ فينانةٌ ... من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ضحكت بها الازهار في اكمامها ... مزدانةً بزواهر الالوانِ
والطلُّ في آماقها متحيرٌ ... فكانهُ متحيِّرُ المرجانِ
ثبُ الجنادبُ كالرواقص بينها ... قد هاجهنَّ تجاوبُ الميدانِ
ويرفُّ منتشرُ الفراش خلالها ... متهلِّلاً كشقائق النعمانِ
وهنالك تزدحمُ الطيور وتنبري ... خطباء فوق منابر الاغصانِ
تشدو لها العُدرانُ تحت ذُيولها ... شدوَ القيانِ باعذبِ الالحانِ
وتهزُّها النسماتُ في أنفاسها ... هزَّ العُثار معاطف النشوانِ

***

وجبالها في الحسن فوق سهولها ... مثل الشهود على صُدُور غوانِ
نسجَ النباتُ لها وشاحَ زمرُّدٍ ... حلاَّهُ منثور الحصى بجُمانِ
والبحرُ كالولهان جاشَ بصدرهِ ... شوقٌ ألحَّ عليهِ بالخفقانِ
تهفو بهِ أمواجهُ وكأنها ... تبدي طويتهُ بغير لسانِ
والبدر يخترق الفضاء ويرتمي ... في أوجهِ ويغيبُ في الدَّوران
يوحي الى تلك المحاسن نظرةً ... فيها من السحر الحلال معانِ

هذا هو الوطنُ الذي لا أنثني عن حبهِ في السرِّ والاعلانِ
لم أدرِ ما مضضُ الوجود يظلهِ حتى كأني في وجود ثانِ
وكأنهُ الفردوسُ لولا أنهُ مثلوثةٌ بمفاسدِ الانسانِ
فمتى يُقال الشرقُ من عثراتهِ ويردُّ عزَّةَ ذلك السلطانِ
وتهبُّ من تلك الشمائل نفحةٌ تسري مع الارواح في الابدانِ
أفلم يرَ الغربيَّ أستار باهلهِ فاضاء بعد حوالك الادجانِ
ملكوا زمام الجوِّ وانتشروا بهِ لا يعبأون بطارق الحدثانِ
متخطفينَ بهِ كأسرابِ القطا متجاذبين أعنَّةَ الطيرانِ
متهالكين وراء ادراك العلى متنافسين سرائر الاكوانِ

***

يا شرق قد طاب النعيم فما الذي أشقاك حتى بتَّ في خذلانِ
هل مضَّك الداء الذي اوصابهُ طاحتْ بملكِ الفرس والرومانِ
فظللتَ بين تعصبٍ وتحزُّبٍ حتى غدوتَ وكل بحرٍ فانِ
كم فيك من ذي همةٍ وكأنهُ قد بات فوق مواقدِ النيرانِ
كتبتْ على اخلاقهِ اعراقهُ ذمَّ العلى ومواثق العرفانِ
فقدا ومطمعهُ صيانة قومهِ في الدين والدنيا من الادرانِ
تخذلهُ وتأبى عنهُ ولم تزلْ من بعدهِ متداعيَ الاركانِ
فانهض فقد وضح الطريق وشمَّرتْ نُوابك الاحرارُ بعد توانِ
وخذِ الامان من الزمان فانني أخشى عليك تقلُّبَ الازمانِ

***

يا معشر النُّواب هذا يومكمْ والدهرُ اقصرُ والخطوبُ دوانِ
فخذوا بأيدي العاثرينَ وقرِّبوا متباعد الاجناسِ والاديانِ
وتألفوا تلك القلوب وخففوا ما قد تكاءدها من الاضغانِ
وقفتْ على ابوابكمْ آمالنا حيرى وقوفَ الدمعِ في الاجفانِ
ترجو وقد اخذ الاسى بنطاقها فرجاً تعوذ بهِ من الاحزانِ
فقدِ انطوى العهد القديم باهلهِ وبظلهِ في ظلمةِ النسيانِ
وغدتْ مراوغةُ القوي ضراعةً يأبى تحمُّلها بنو عثمانِ

وتداركوا العرب الكرام وهوّنوا ما قد تجشّمهم من الهذوان
لا تسمعوا متحزمين تخيّلوا من قدرهم بالافك والبهتان
فهم كما شاء الاله أعزّة لن يهرموا أو يهرم الفتيان
شهدت لهم اقوالهم وفعالهم بثباتهم في خدمة الاوطان
ومشت على اثارهم فتيانهم والسرّ كل السرّ في الفتيان

الخرطوم فؤاد الخطيب

رحلة بارتيا الى الحجاز واليمن والهند

(تابع ما قبله)

ذكرنا في الجزء الماضي وصول بارتيا مع الركب الشامي الى المدينة ونأتي الآن على وصفه لها ولمكة وجدة وارتحاله من الحجاز الى اليمن قال

وللمدينة سور مبني بالطين [1] لكن بيوتها مبنية بالحجر الصلد والبلاد حولها قفر بلقع لا نبت فيه لكن على رمية سهم منها حديقة من النخل فيها قناة للماء ينزل اليها على ادراج لا يقل عددها عن اربعة وعشرين درجاً ومتى وصل الحجاج استولوا على هذا الماء [2]

واقمنا في المدينة ثلاثة ايام زرنا فيها كل المشاهد التي هناك ففي اليوم الاول من وصولنا اليها دخلناها من الباب المحاذي للمسجد ومع كل واحد منا رجل يأخذ بيده ويريه قبر النبي. والمسجد مستطيل طوله مئة خطوة وعرضه ثمانون وله ستة ابواب في ثلاث جهات منه في كل جهة بابان وله سقف مقبّب على ثلاثة جوانب منه وعدد سواريه أكثر من اربع مئة وهي من الحجر المحروق مطلية بالجير. وفي المسجد نحو ثلاثة آلاف مصباح [3]

وفي الجانب الايمن من المسجد بناء مربع عليه ستارة من الحرير وحوله حاجز من المعدن

(١) قال برتن ان هذا السور من بناء قاسم الدولة الغوري. وهو الآن مبني بالحجر الحب والجرة ومعقود بالجير بناء السلطان سليمان (٢) هي المعروفة الآن بحدائق قباء. قال ابن جبير وقباء قبلي المدينة ومنها اليها نحو الميلين وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة والطريق اليها بين حدائق النخل المتصلة (٣) قال ابن جبير وطول المسجد الكريم مئة خطوة وستون خطوة وسعته مئة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه ٢٤٠ وهي من حجر مخروت قطعاً قطعاً سلفة متقنة توضع اثر في ذكر ويبرع بينها الرصاص المذاب وتكسى بفلائح جيار ويبالغ فيه صقلها ودلكها فتجيء كأنها رخام أبيض. وقال برتن ان طول المسجد ٤٠٠ قدماً وعرضه ٢٤٠. والمسجد يناير الآن بالكهربائية